أدب الرحلة في التراث العربي

د. زرنكار
أستاذة مساعدة، مركز الدراسات العربية والأفريقية
جامعة جواهرلال نهرو، دلهي

تعريف أدب الرحلة

الرحلة نوع أدبي يصور فيه الكاتب ما يقوم به خلال رحلاته ويعدّ من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية؛ بأنه يصف الأماكن والشخصيات والجوانب المختلفة للمناطق التي تشملها تلك الرحلات، ومما يجعل قراءتها مفيدة وممتعة هو أنّ مؤلفي الرحلات وكتابها يجمعون هذه المعلومات والحقائق من مشاهدهم الحية ويصورون فيها أكثر وأهم ما جرى لهم من أحداث وما صادفهم من أمور ويكتبون فيها من مشاعر تختلج فى نفوسهم من ملامح بلاد أجنبية بعادات، وتقاليد سكانها، وخلفيتها السياسية والثقافية والاجتماعية أثناء رحلاتهم. فنرى تلك المناطق بعيون الرحالين ونسمع بآذانهم ونمشى على أقدامهم ونجد ما يجدون من ألم أو لذة من سخط أو رضا في بلدان غريبة.

لعل من أوجز وأوفي التعريفات لمفهوم أدب الرحلة هو أن أدب الرحلة وثائق تقدم لنا صورة حية عن المجتمع وتطوره أو تأخره وأسباب ذلك.[١]

الكلمات الدليلية

أدب الرحلة، التراث العربي، أقسام الرحلة، البيروني، الصور والخرائط

وكان أدب الرحلات عند الغربيين والمستشرقين يغلب عليه الطابع التقريري والسردي والوصفي عن الأماكن فقط، أما أدب الرحلات العربيّة عامةً فيغلب على أكثره اللون القصصي إلى جانب ما فيه من المادّة الواقعيّة، ويضمر التنوع في العرض، والجمع بين الواقع والخيال، وغنى من خلال المضمون، والبساطة في السرد. فأدب الرحلات العربية حوّل هذا الأدب إلى مادة مليئة بالمتعة والمرجعيّة أيضاً.

كما يقول أحمد أبوسعيد: "فأما القيمة العلمية فهي تكمن في احتواء معظم هذه الرحلات على كثير من المعارف والمدوّنات التي تمت إلى الجغرافية والتاريخ بأوثق الصلات، ففيها عدا عن ذكر ما قاساه كاتبوها من ألوان المتاعب والأهوال، صور وتقارير وافية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية للعرب ومن جاورهم من شعوب آسية وإفريقية وشطر من أمم أوروبية: كذكر المعالم الأثرية، ودرس العلاقات الاقتصادية، ووصف الممالك والبلدان، والأصقاع والأقطار، والمسالك والطرق وغير ذلك مما لايزال يعتبر حتى اليوم مرجعا أساسيا في دراسة وصف بعض البلدان الجغرافي والعمراني والاجتماعي والاقتصادي."[٢]فتتميز الرحلات العربية بالخصائص المهمة وهي:

١. الاسلوب القصصي والاعتماد على الحوار والسرد المشوق

---

[١] عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى..... ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ٢٠٠٨، ص: ٢٠

[٢] أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد– بيروت، ط١، ١٩٦٢م ص:٠٥

٢. التعبيرات السهلة المؤدية لغرض الحكاية والوصف الصريح للأماكن التي يتم زيارتها

٣. عنصر الفكاهة في النصوص وخلطه بالجد حسب الأغراض

٤. اقتباس من القرآن أو الشعر العربي لتأكيد الوصف والبيان

وفوق كل الخصائص والسمات المذكورة لأدب الرحلة هناك ميزة مهمة وهي حرية الرحالة في أن يكتب كيفما شاء بالإيجاز أو بالتفصيل، وبالنقاش أو بالتفاعل، وبصورة القصة أو التقرير

أقسام الرحلات العربية

أما قصص الترحال العربية فهي تنقسم إلى نوعين:

الأول: رحلة حقيقية إلى بلد بعينه يتجول بها الرحالة، ويجمع في سجله كل ما يراه من عادات وتقاليد وثقافات البلد المرتحل إليها. ومثل كتابات هذا النوع كثيرة من رحلات ابن بطوطة وابن جبير إلى كتابات انيس منصور ومحمد بن ناصر العبودي وغيرها التي دونها الرحالة.

الثاني: الرحلة غير الحقيقة أو الخيالية، وفيها يصور الرحالة بعقله أو بقلمه لا بجسده كأنه انتقل إلى عالم الآخر أو أنه شاهد النار أو الجنة، وكان أبو العلاء المعري من أشهر كتاب ذلك النوع، حيث كتب "رسالة الغفران" ووصف فيها أحوال العالم الآخر باللون القصصي. فقد ذهب بعض الدارسين إلى حاجة إخراج هذا النوع من أدب الرحلة وإدراجه ضمن فن القصة لطغيان عنصر الخيال فيه. ولكن عنصر الخيال وحده لا يكفي، لأن هناك عناصر أخرى لابد من وجودها.

وإذا كان الرحالة يكتب رحلة واقعية، ينقل لنا أهم ما شاهده في البلاد التي زارها بدقة، وإذا كان في الرحلة الخيالية يطلق أفكاره ومشاعره لتنقله بعيدا عن واقعه، ولعل هذا ما دفع ب" شوقي ضيف" إلى أن يقول بأن الإنسان ولد راحلا، وإن أعجزته الرحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال.[٣]والرحلات فأغلبها وأكثرها تلتزم بالحقيقة المجردة وتعتمد على الواقع من الأماكن والآثار وألوان من الطعام والشراب والأزياء وما إلى ذلك.

ويمكن أن تنقسم كتب الرحلات العربية -حسب ما صرح الدكتور شوقي ضيف- في أغلب الأحيان إلى الجغرافية والبحرية والبرية. والكتابات الجغرافية هي الرحلات بالمعنى الحقيقي، لأنها تقوم بوصف أحوال البلدان والعمران. وتبرز من الكتابات البحرية الرحلات التي رويت عن التجار والملاحين وهواة البحار، وعلى طليعتهم التاجر سليمان التي سجل رحلته عن المحيط الهندي. والرحلات البرية فهي كثيرة مفرطة ومتنوعة عن البلدان العربية كمصر وغير العربية أمثال الهند والصين أو أوروبا والبلدان الإفريقية.[٤]

كما تنقسم هذه الرحلات حسب أغراض تدوينها. ففي العصر القديم من الأسباب التي دعت إلى كتابة الرحلات هي طلب الحاكم أو هي حاجة الدولة أو أحد أصدقاء الرحالة يطلب منه تدوين الرحلة، أو قد يكون السبب رغبة الرحالة أنفسهم في تدوين ما رأوه في أثناء رحلاتهم، ورغبةً منهم في تثقيف القرّاء واطلاعهم على تاريخ البلدان وثقافتها، فتكون لهم دليلاً يفيد في إرشادهم. أو التدوين قد يكون سدّا للأسباب الدينية كوصف كثير من الحجاج سفرهم بعد العودة منه عن الأماكن المقدسة وتجاربهم بها لتكون مثابة دليل للآخرين. وفي العصر الحديث فقد تغيرت العديد من المفاهيم المرتبطة بهذا

---

[٣] شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط: ٤، ص:٧

[٤] نفس المصدر ص: ٥

النوع، ولقد تعددت أوجه الرحلة وأغراضها بمرور الزمن. هناك الرحلة للرحلة، أي بدافع الرغبة – فقط- في النقلة والتجوال. وهناك الرحلة بسبب العمل في الخارج. وهناك الاشتغال بالسفارة والإقامة زمنا. وغير ذلك كثير من الأسباب التي ساعدت على ازدهار كتب الرحلات وتنوّع اتجاهاتها واختلاف عوامها[٥]وعلى كل ذلك أصبح سببان رئيسيان فوق كل الأسباب المذكورة لتأليف وتدوين هذه الرحلات ولا يمكن الإهمال منهما، هما الجانب الاقتصادي ورغبة الصيت في العالم. وذلك يكون بسبب سهولة الترحال واكتشاف المناطق والبلدان في ظل التكنولوجيا.

لكن جميع هذه الرحلات الحقيقية - مع اختلاف دوافعها وأسبابها للتدوين- ليست من وحي الخيال فقط أو منقولا من الكتب الأخرى بل هي حصيلة تجارب الرحال ومشاهداتهم التي جمعوها، وهي ملاحظاتهم ومواقفهم المتباينة التي لاقوها أثناء ترحالهم، لذلك تتصف وتتحلّى بدقة الوصف والبيان وتضيف الكثير من المعلومات عن الأماكن والأشخاص وعن الجوانب الاجتماعية والحضارية في أكثر الأحيان. فلها أهمية كبرى.

أهمية أدب الرحلة

الإنسان يرى خلال هذه الرحلات عجائب الأمصار ومحاسن الآثار ونوادر الأوضاع، وهي تجمع للقارئ التجارب المهمة وتوفر له معارف تاريخية وجغرافية واجتماعية وثقافية عظيمة القيمة عن الأقاليم والمناطق التي يتم عنها كتابتها، حتى لا يمكن الاستغناء عنها لأحد من الأدباء والمؤرخين والجغرافين وغيرهم.

فالرحلات بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب متعددة فيما يخص الجوانب الحضارية على امتداد أزمنة متتالية، فالرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها، لأنها تستخدم الجغرافيا، وتستند إلى التاريخ عند التعرض لوصف المسالك والمدن والمعالم وبدايات الأمور، بل ورصد الظواهر الاجتماعية غير المألوفة لديهم، وكذلك الاقتصادية، ويتبعها السياسية بنسب متفاوتة وعرض ذلك بزي الأدب وطابعه.[٦]

فبناء على كون الرحلة مزيجا من العلوم المختلفة، لها فوائد ذات نواح من النواحي الجغرافية والتاريخية والعلمية إلى النواحي الأدبية بالسرد القصصي.

أهميتها الجغر افية

للرحلات قيمة جغرافية بالمعنى الحقيقي لأن الرحالة في أكثر الأحيان يسجل المعلومات عن الطرق والأراضي التي يقطع مسافتها، والبحار والأنهار التي يمر بها، ويدون تجاربه عن الأصقاع والمدن والأقاليم، ويكتب عن المعالم والآثار التي يشاهدها، والمحطات والمواقف التي ينزل عليها كما يصف الطبيعة والمناخ الذي يواجهه في تلك المناطق ويبادر بتنبيه عن الأخطار والصعوبات التي يواجهها أثناء الرحلة.

أما الرحلات القديمة فنجد في أكثر ها الجانب الجغرافي غالبا على الجوانب الأخرى لأن أكثر الرحالة منهم كانوا جغرافيين خرجوا لاكتشاف الأرض المجهولة ولجمع المعلومات عن المناطق الأجنبية ثم دونوا مشاهداتهم المباشرة وتجارب رحلاتهم في الكتب وركزوا أفكارهم على الناحية الجغرافية بجانب عنايتهم إلى الحديث عن العادات والتقاليد والعجائب والأساطير. بذلك كتبهم الجغرافية ليست كتب سرد جغرافي بل أصبحت رحلات وكتبا أدبية. فحسب صراحة فؤاد قنديل "لعل أبرز دور

---

[٥] الدكتور سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة، مكتبة غريب، الفجالة. ص: ١٢-١٣

[٦] عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى...، ص: ٢٠ نقلا عن الدكتور زكي حسن: الرحالة المسلمون، ص:١٧٩

قامت به الرحلة في العالم العربي هو الخدمة الكبرى التي قدمتها لعلم الجغرافيا."[٧]

على سبيل المثال مصنف الإدريسي[٨]المسمى ب"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الذي يعد أعظم مصنفات العصور الوسطى فنقل فيه الإدريسي معارف مفصلة عن البلدان والأقاليم والبحار والخلجان بعد أن يترحل من مشارق الأرض ومغاربها. وكذا الأمر في "المسالك والممالك" لابن حوقل الذي جمع في كتابه المعلومات عن البلدان من مصر وأندلس وغيرها وعن خصب الأراضي وطولها وعرضها مع ذكر عظمة الجبايات والأحوال من الرقيق الفاخر، فكتابه رحلة جغرافية بديعة. هكذا نجد رحلات جغرافية أخرى وهي "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" و"آثار البلاد" للقزويني و"الأعلاق النفيسة" لابن رسته و"البلدان" لابن فقيه وغيرها.

ومن تلك الرحلات الجغرافية نجد عديدة منها مختصة بالبحار وطرقها كرحلة التاجر سليمان ورحلة بزرك بن شهريار وهما تشملان الوصف الطريف للبحار والرياح وأقسام الجزائر كما تحتوي على الحكايات والأساطير عن المناطق والأقاليم.

وهذه الكتب كلها تحتوي على المعلومات المزيجة بوصف الأراضي والبحار والشواطئ والجزائر والبلدان كما تتحدث عن الطبيعة والمناخ وظاهرات توزيع السكان مع ذكر الأحداث والأطوار. ولا يمكن لدارسين هذا العلم أن يتخلوا عن دراسة هذه الكتب.

قيمتها التاريخية

فإن الرحلات هي بيان مباشر للأحداث والوقائع التي يواجهها الرحال، ومنها نجد بعض المعلومات التي لم نعثر عليها في الكتب المختصة للتاريخ. وبذلك السبب هو أن الرحال هم يقومون بتحليل مظاهر حياة الأمة أو البلاد من الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية بعد أن يشاهدوها بعيونهم، وبعد أن تقع تلك الأحداث بين أيديهم فيعطون كلها بعدها المناسب في رحلاتهم.

"فهي مصدر دونت بشهود عيان، عاصروا الحدث وقاموا بتسجيله في حينه فدراسة الناحية التاريخية للرحلات مفيدة في تعرف الجوانب العلمية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية، حتى السياسية، فهذه الجوانب كلها كتبت بحسب ما شاهده الرحالة ولمسه، ولا شك في أن هذه الأمور لا توجد في كتب التاريخ العامة أو الخاصة التي انصب اهتمام مؤلفها على الأحداث السياسية"[٩] لذلك لا يمكن الاستغناء للمؤرخين من الرحلات التي كتبت في فترة يدرسون أو يكتبون عنها بحيث توجد في الرحلات بعض المعلومات والأحداث وأسماء الأماكن والأشخاص التي لم توجد في الكتب الأخرى. ولولا الرحلات لم تكن تظهر هذه الأسماء والأحداث.

فكتاب الهند للبيروني[١٠] ولولم يكن تأليفه رحلة في حد ذاتها ولم يكن هدفه الرئيسي خلف هذا التأليف بل كان دراسة المؤلف المنتجة بعد قيامه وسكنه في الهند. لكنه دليل بارز على قيمة تاريخية للمشاهدة المباشرة- يعتبر المرجع الوحيد للهند في ذلك الوقت، قد حققه كثير من العلماء والأدباء من جميع النواحي وظل يراجعها الباحثون والمحققون حتى الآن لو هذا العصر عصر التكنولوجيا وكل شيئ يوجد تحت ضغط الأنامل الواحد. لكن هذا الكتاب يعدّ اليوم مصدرا أساسيا تاريخيا

---

[٧] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م، ص: ٢٣

[٨] هوعالم عربي وجغرافي ولد في المغرب الأقصى (١١٠٠-١١٦٦م) واشتهر بكتابه المذكور.

[٩] عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى..... ، ص: ٢٥

[١٠] أبو الريحان البيروني (٩٧٣-١٠٤٨م) كان مؤرخا، وجغرافيا، وفلكيا، وفيلسوفا، ورياضيا، أما تصنيفه الشهير عن الهند فهو" تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة.

للهند بتضمنه مجموعة هائلة من المعلومات حول بلاد الهند وحضارتها.

وكذلك الأمر بكتب المقدسي[١] والإدريسي واليعقوبي[٢] وغيرهم من المؤرخين والجغرافيين الذين سافروا إلى البلاد الأجنبية لجمع المعلومات والمعارف ثم صنفوا وألفوا كل ما شاهدوا وعاينوا من الحضارات والمعالم والطبائع لأهالي تلك البلدان. فهذا يمثل ثروة تاريخية أساسية بصورة خاصة من الرحلات العلمية.

أما كتب الرحلات الخاصة القديمة فلها أهمية تاريخية واجتماعية مما تحتويه معظم الرحلات من كثير المعلومات الاجتماعية والمعارف التاريخية باتصال الرحالة المباشر بالناس وبالحياة لتلك الفترة التي تكتب عنها. فكم أمتعنا بكتابات ابن بطوطة وابن جبير وسليمان التاجر وبمغامرتهم في فهم ذلك الزمن وفي دراية طبائع الناس وتقاليدهم وفي تعرف النواحي المختلفة من البحور إلى الأقاليم.

أما كتب الرحلات الجديدة في حد ذاتها –أي دون كتب الجغرافية والتاريخ- فهي تحتوي أيضا على المعلومات الهامة وتعتبر مراجع تاريخية عن مجتمع ما في وقت ما. فعرف القرن التاسع عشر والقرنان بعده نماذج للرحلات التي اختلفت اتجاهاتها، وتنّوعت أغراضها، وتباينت مستويات الأسلوب والتعبير فيها، كما تغيرت أهمية كتّابها الفكرية والسياسية والاجتماعية. لكنهم على حسب مقاصدهم وأغراضهم يستقون المعلومات والحقائق من رحلاتهم التي لم تكن كلها للمسير واكتشاف المجهول بل أبدى منها مشاركات جدية وفاعلة في جميع الحلقات العلمية التي كان يقصد إليها الرحالون مقيمين ومرتحلين. فهي تصور الحقائق والأزمنة وحضارة العصر وثقافة البلدان التي ذهبوا إليها وأقاموا فيها وأحوال الشعوب التي اختلطوا أثناء ترحالهم ولم نكن لنحصل عليها بدون مغامرات واجتهاد أولئك الرحالين. ككتابات أمين الريحاني[٣] والدكتور حسين فوزي[٤] وأنيس منصور[٥] ومحمد بن ناصر العبودي[٦] وعبد الفتاح رزق[٧] وغيرهم الذين سجلوا في كتاباتهم المعلومات والوثائق والمقارنة والخبرة والثقافة والرؤية مع الصور والخرائط.

فالرحلات القديمة أو الجديدة تعدّ أكثر منها سجلات حقيقية لمختلف مظاهر الحياة لمجتمع ما ولمرحلة تاريخية محددة بمكان ما في عصر ما "ولهذا فإننا – دون مبالغة- نستطيع القول، أن الرحلات بكافة صورها وأسبابها وأهدافها كانت أحد العمد الرئيسية في صرح الحضارة العربية الشامخة، لأن الرحلة بكونها وسيلة من وسائل جمع المعارف، فقد كانت أيضا فرصة لاكتشاف الآخر والأخذ عنه وإثارة الشعور بالمنافسة والرغبة في التفوق والطموح إلى السيادة، ولم يكن ذلك ممكنا، والعربي في خيمته أو قصره أو حتى في معمله لا يبرحه..... فلولا الرحلة – وهي إرادة الله بالقطع – ما سمعنا عن البيروني أو المسعودي وابن خلدون، ولا قرأنا عن الإدريسي والمقدسي، ولولا ها ما استمتعنا بكتابات ابن بطوطة وأسامة بن منقذ

---

[١] أبوعبد الله محمد بن أحمد المقدسي رحالة وجغرافي ولد في القدس٩٤٧م وتوفي في سنة٩٩٠م، قد أكسبه شهرةً كبيرةً بكتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم."

[١] أحمد اليعقوبي هو كاتب وجغرافي وأحد مؤرخي أواخر القرن التاسع الميلادي، زار اليعقوبي كثيراً من البلدان فسمى كتابه المعروف بكتاب البلدان.

[١] أمين الريحاني مفكر وأديب ومؤرخ ورسام ورحالة من لبنان (١٨٧٦–١٩٤٠)، له رحلات: ملوك العرب، المغرب الأقصى، الريحانيات.

[١] هو أديب مصري(١٩٠٠–١٩٨٨) برز في أدب الرحلات له سلسلة كتابات سندباد .

[١] هو كاتب وأديب وصحافي وفيلسوف مصري (١٩٢٤–٢٠١١) له عدد ملحوظ في كتب الرحلات وحصل واحد منها " حول العالم في ٢٠٠ يوم" على جائزة الدولة التشجيعية.

[١] هو أديب ومؤلف ورحالة سعودي (من مواليد ١٩٢٦) كتب أكثر من أربعين رحلة وله سلسلة الرحلات الهندية.

[١] هو كاتب وصحافي مصري (من مواليد ١٩٣٥) له رحلات عديدة شهيرة ك "مسافر على الموج" و" رحلة إلى شمس المغرب" هي تحصل على جائزة الدولة التشجيعية.

وياقوت الحموي والبغدادي وابن جبير ."[١٨]

ولذلك تعتبر الرحلات إحدى الوثائق الهامة في الحيوية التاريخية والثقافية وهي تعد إحدى المراجع لعلوم الأنثروبولوجيا والإثنولوجي إلا أنه يجب إحصائها للنقد التاريخي.

أهميتها الأديبة

للرحلة علاقة مباشرة بالأدب بأنها نص أدبي عن الارتحال والقيام، الذي لا يخلو من الخيال والذي يقتضي تعبيرا أدبيا ووصفاً لغوياً. وأهمية الرحلات الأدبية هي تقوم على أسلوب الكاتب الرحالة الذي يمنح الرحلةَ قيمةً أديبةً فأسلوبه هو عنصر أساسي لا يستغنى عنه. فنجد أن كثيرا من الرحالة قد اهتموا بالحديث عن تقاليد الأمم وعاداتها، وسجلوا ما عندهم من أساطير وخرافات، فغلب على أسلوبهم الطابع القصصي. فالرحلة تعتبر شقيقة للقصة ونجد في قراءتها لذة ومتعة كما نجدها في قراءة القصص.

فأدب الرحلة يحفل بكثير من " الأساطير والخرافات، وبعض المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ، وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حدا كبيرا من الدقة، علاوة على ما قد يستعين به - أحيانا - من أسلوب قصصي، سلس، مشرق، والسبب الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي عندما تصبح قراءة هذا اللون من الكتابة متعة ذهنية.١٩

وهذا أمر طبيعي أن كتابات هذا النوع لا تعتبر أدبا مثاليا، فالرحالة ليس كلهم أدباء وكتّابا لكنهم ما نقلوه ولو بصورة جزئية مهمة من ناحية تاريخية. ومما لا ريب فيه أن أسلوب كتابة الرحلات في زمان ما إنما يعبر عن أدبيات ذلك الوقت، فدراسة رحلات معينة في مدة ما إنما تُمد المعنيين بالأدب عن أسلوب التأليف والكتابة والفكر الأدبي عموما وطريقته في تلك المدة بمعين طيب، لأن أغلب الرحالة الذين تصدروا لتدوين رحلاتهم كانوا على قدر لا بأس به من العلم والأدب يكفي للحكم على أهل تلك المدة بكثرة الإجادة أو قلتها، ومن لم يكن منهم أديبا حاكي غيره في صياغتها."[٢٠]

إن وجود الاتجاه القصصي في أدب الرحلة أمر طبيعي، لأن الرحالة يسجل كل ما يتخلل من حوادث ومواقف في أسلوب قصصي يعتمد على الترغيب والمتعة الذهنية للقرّاء، فالرحلة في حد ذاتها قصة إن لم تتوافر فيها خصائص القصة كلها، فهي تشاركها في بعض خواصها. وهي ثمرة منها في شكل حسن مشمول ومتنوع يطبعه الإمتاع الوصفي، والتنميق الكلامي، والتبليغ الانطباعي والتصوير الأمين الذي يمتاز ببساطة، وتتسع موضوعاته حسب الرحالة بين علوم التاريخ والدين والجغرافية والسياسة. كان الرحالة المسلمون قديما كأعظم الرحالة ابن بطوطة، وأحمد بن فضلان وابن حوقل وبزرك بن شهريار وسليمان التاجر قد غلب على أدبهم الطابع القصصي، فكانوا يستندون إلى الحقيقة والواقع في أكثر الأحيان، ويميلون للخيال والتحليل أحياناً أخرى، بعد أن يجمعوا في رحلاتهم كثيرا من القصص والمعلومات والشعر للمتعة. وقد أسهم في ترسيخ هذا النوع الأدبي من المتأخرين الدكتور أنيس منصور والعبودي والدكتور حسين فوزي وغيرهم.

إن أدب الرحلة لم يقترب من فن القصة فحسب، بل اشتمل على كثير من الفنون الأدبية. ربما يلجأ الرحالة إلى الاستشهاد بأبيات شعرية فتبرز أدبيته، سواء كانت من نظم الرحالة نفسه أم كان استشهد بأبيات غيره مما يؤكد سعة اطلاعه ودقة معلوماته. وقد كان بعض الرحالة شعراء فدفعهم ذلك لقوله في المواقف المختلفة أثناء رحلتهم، ولاسيما عند

---

[١] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص: ٦٨

[١] سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة، ص: ٠٨

[٢] عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى..... ، ص: ٢٤

فراقهم أو الحنين إلى الأوطان وبعض منهم سجلوا انطباعاتهم عن الترحال والأسفار في صورة الشعر كعمر أبي ريشة وكالشيخ علي الجبيلي وكان من لبنان الذي ساح الأرض من اليمن إلى الهند والإيران وكتب رحلته شعرا. "صاحبها يزودنا ببعض المعارف عن البلدان التي زارها إلا أن الذي يوصف له أن الرحلة قد فقدت حتى عثر عليها بعد حوالي ثلاث مائة سنة من نظمها تقريبا ولكن لم يعثر عليها كلها بل عثر على ما لا يتجاوز ألفا وخمس مائة بيتا من أصل ألفين وخمس مائة."[٢١]

وربما يظهر أدب الرحلة تحت نوع أدبي من السيرة الذاتية لما يورد فيها الرحالة معلومات مختلفة عن حياته، ورحلته تتأثر بشخصية كاتبها، فظهرت شخصيات الرحالة، وطبيعة أمزجتهم، ونفسياتهم من خلال ما سجلوه[٢٢]وأثناء سرد كل ما يتعلق بهم في رحلاتهم. كذلك يلجأ الرحالة بعض الأحيان إلى طابع السخرية والفكاهة.

فيمكن لنا القول إن أدب الرحلة فن يقترب من مختلف الأنواع الأدبية والعلمية حيث نجد فيه أرقى النماذج الأدبية من القصة والشعر والسيرة الذاتية وغيرها من أنواع الأدب. كما نجده محتويا على المعلومات القيمة والنادرة عن علوم التاريخ والجغرافية والاقتصاد والاجتماع وغيرها فهو فن يوفر فرصة الاحتكاك بالثقافات الأخرى ويعدّ مخزنا لصيانة المعلومات القيمة من أن تضيع بمرور الزمن فأهميته واضحة جلية.

المصادر المراجع

١. الرحلات، شوقي ضيف ولجنة من أدباء الأقطار العربية، دار المعارف، مصر ١٩٥٦م
٢. عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى... ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ٢٠٠٨م
٣. أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد- بيروت، ط١، ١٩٦٢م
٤. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م
٥. سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا،
٦. زكي حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ١٩٨١م

[٢] أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، ص: ٢٢٨

[٢] د. زكي حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت– لبنان، ١٩٨١م ص:١٧٩